PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(8): 771-779
ISSN: 1553-6939

The art of literary letters in early Islam and its impact on its prosperity

PhD (c). hachemaoui rokia [1*], Dr. hawass berri [2*]

[1:] University of Algiers -2- Abu Al-Qasim Saadallah, (Algeria), hachemaoui.rokia@univ-alger2.dz

[2:] University of Algiers -2- Abu Al-Qasim Saadallah, (Algeria), ibnberri@yahoo.fr

Received:30 /07/2024, Published: 31/08/2024

ABSTRACT:

The study attempts to examine one of the most important ancient Arabic prose arts, which is the art of literary letters, and this is through studying it in one of the most important eras in which this art emerged and developed, which is the beginning of Islam, by monitoring the most important characteristics that distinguished this art in terms of its form and content. We presented some examples that were written at that time, and we also try to show the role of this era and the Islamic call in developing and expanding this art.

Keywords: letters, early Islam, brotherhood, Diwaniyah, Islamic preaching.

Keywords:

letters, early Islam, brotherhood, Diwaniyah, Islamic preaching.

فن الرسائل الأدبية في صدر الإسلام وأثره في ازدهارها

ط. د هشماوي رقية [1*]، د. حواس بري[2*]

[1] **جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، الجزائر، hachemaoui.rokia@univ-alger2.dz**

[2] **جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، الجزائر، ibnberri@yahoo.fr**

الملخص:

تحاول الدراسة الوقوف عند أحد أهم الفنون النثرية العربية القديمة، وهو فن الرسائل الأدبية، وهذا من خلال دراستها في عصر من أهم العصور التي برز فيها هذا الفن وتطور وهو صدر الإسلام، وذلك برصد أهم الخصائص التي ميزت هذا الفن من حيث شكلها ومضمونها؛ بحيث عرضنا لبعض النماذج التي كتبت حينها، كما أننا نحاول إظهار دور هذا العصر والدعوة الإسلامية في تطوير هذا الفن وتوسيعه.

الكلمات المفتاحية:

الرسائل، صدر الإسلام، إخوانية، ديوانية، الدعوة الإسلامية.

تمهيد:

اقرأ، أول كلمة أوحى بها الله تعالى لنبيه الكريم، فكان بذلك في بداية دعوته ملحا على ضرورة التعليم والتعلم، وقد جعل من الكتابة وسيلة أساسية استند عليها في نشر دعوته وتوسيعا، لكونها أنسب طريقة للتعلم والتعليم، ولما كانت الرسائل مرتبطة ارتباطا وثيقا بالكتابة كانت السبيل الأول لنبي الله تعالى في تبليغ دعوته لكافة ملوك الأرض وحكامها، وبهذا شهد فن الرسائل في هذا العصر تطورا وازدهارا جليا على ما كان عليه سابقا، فكان هذا العصر من أهم العصور التي أسهمت في النهوض بهذا الفن وتوسيعه، فكيف أفضى هذا العصر إلى إنماء هذا الفن النثري الذي كان منسيا من قبل؟ وعلى أي أساس اعتمد في تموضعه لتحقيق فاعليته آنذاك؟ و ما هي أهم الخصائص التي ميزت فن الرسائل في هذا العصر عن سابقه؟ وما هي موضوعاتها واهتماماتها؟

الرسالة، وسيلة تواصلية قديمة اعتمدها الخلق لإدامة الوصال بينهم، وهي كما يقول السيد أحمد الهاشمي: "مخاطبة الغائب بلسان القلم"[1]، أي أنها محادثة تتم بين شخصين تفصل بينهما مسافة معينة، والتي تمنعهم من التواصل المباشر فيتخذون الرسالة وسيلة تقرب بينهم عن طريق الكتابة، وقد ظهر هذا الفن الأدبي منذ العصر الجاهلي لكن لم تثبت الكثير من النسخ المنسوبة لهذا العصر، بل وهناك من ينفي وجودها كليا مرجعا بدايتها لصدر الإسلام، وقد قال الدكتور شوقي ضيف في هذا الشأن:"وليس بين أيدينا وثائق جاهلية صحيحة تدل على أن الجاهليين عرفوا الرسائل الأدبية وتداولوها"[2]، لأن الإنسان الجاهلي لم يهتم بالكتابة؛ بيد أن هذا لا ينفي وجودها كليا، قد نتفق على ضياعها وعدم انتشارها، لكن لا يمكن نفيها كليا فهناك من أثبت وجودها وقدم بعض النماذج –ولو قليلة-، كما أن معظم عرب الجاهلية كانوا يتناقلون رسائلهم مشافهة بالاعتماد على الرسل الذين يثقون بهم في تبليغها، لذا لم تحفظ وبذلك كان هذا من أكثر العوامل التي أسهمت في ضياعها.

مع بزوغ شمس الإسلام الذي أكد على ضرورة التعلم والتعليم مذ أول كلمة أوحى بها الخالق لرسوله الكريم، وقسمه عز وجل في القرآن الكريم بالقلم؛ الذي هو وسيلة للكتابة، انتشرت هذه المهارة واتسعت وشاعت كثيرا؛ بحيث أخذت الكتابة "... منذ هذا العصر تستخدم على نطاق واسع لا في كتابة القرآن فحسب، بل في كتابة كل ما يهم المسلمين في معاملاتهم وعقودهم"[3]، وكانت الرسائل من بين أهم تلك الوسائل التي يعتمدونها في تلك المعاملات والعقود، "فإذا قلنا بعد ذلك أن الكتابة رقيت في العصر رقيا بعيدا لم نكن مغالين، إذ وسعت كل الحاجات السياسية التي جدت، وكل ما أعطى للمسلمين المحاربين والشعوب المفتوحة من حقوق"[4]، ومن الطبيعي أن النتاج الأدبي يخضع للمؤثرات البيئية التي ينتج فيها ويتفاعل معها، وبه " أخذ هذا النثر يحمل تشريع دولة الإسلام الجديدة وما يطوي فيه من تعاليم الدين وحدوده وفرائضه"[5]، فاتجه الكتاب إلى أغراض دعت إليها بيئتهم الجديدة، وبالتالي كانت الرسائل مأتى لحاجات الدولة التي اقتضى اتخاذ هذا النوع من النثر الفني لمخاطبة الملوك والحكام لدعوتهم إلى دين التوحيد، الدين الإسلامي. فما هي الأغراض العامة لكتابة الرسائل آنذاك؟ وهل كان لهذا التغير تأثير على الخصائص اللغوية لفن الرسائل وموضوعاتها؟

تطورت الكتابة تطورا واسعا في هذا العصر وكانت الرسائل الأدبية وليدة الحاجة فتنوعت موضوعاتها وأغراضها تماشيا مع تلك الحاجة، ولقد ذكر ابن قتيبة الأغراض العامة للكتابة -والتي نجدها تنطبق وهذا العصر- فقال:" والكُتاب هم ألسنة الملوك، إنما يتراسلون في جباية الخراج، أو سد ثغر، أو عمارة بلاد، وإصلاح فساد، أو تحريض على جهاد، أو احتجاج على فئة، أو دعاء إلى ألفة، أو نهي عن فرقة، أو تهنئة بعطية، أو تعزية برزية، أو ما شاكلها من جلائل الخطوب، ومعاظم الشؤون التي يحتاجون فيها إلى أن يكونوا ذوي آداب كثيرة ومعارف مفننة."[6] وهذا ما نجده يجاري تماما حال الكتابة الفنية في عصر النبوة عامة والرسائل خاصة؛ إذ إن هذه الأغراض تشمل جميع أنواع الرسائل الأدبية من ديوانية وأهلية، من حيث اهتمامها أولا بشؤون الدولة ومراميها؛ بحيث اهتمت بنشر الدعوة الإسلامية وإصلاح الأمة والمجتمع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والابتعاد عن الرذائل، كما أن هناك رسائل أخوية فيها يقدمون تهانيهم وتعازيهم، وقد اتسمت رسائلهم بالعمق والقوة التي استمدوها أولا بتأثرهم بالقرآن الكريم، ثم باحتكاكهم مع الغير وإطلاعهم على الآداب الأجنبية التي عرفوها في الفتوحات الإسلامية؛ بحيث "اكتسبوا بالمعاشرة والمصاهرة روحا جديدا ظهر أثره في الخطب والرسائل والمحاورات"[7].

باعتبار أن اللغة ظاهرة اجتماعية تواكب تطورات وتغيرات محيطها، فقد كان للإسلام أثر على لغة العرب، لاسيما أن القرآن الكريم حمل الرسالة السماوية في طياته وكان بلغة عربية عالية، لذلك تأثروا به وببلاغته وفصاحته، مما أسهم في تطوير كتاباتهم وازدهارها، وقد كانت الرسائل من أكثر الفنون الأدبية تأثرا بهذا التغير، كما كانت أكثر وسيلة إتكأ عليها الرسول صل الله عليه وسلم وأتباعه في تبليغ الرسالة السماوية خارج الحدود، وحري بنا الإشارة إلى أهم الخصائص التي اتسمت بها الرسائل الأدبية في هذا العصر؛ إذ عرفت أنها "...كانت جميعا تفيض من معين واحد، يتسم بالبساطة والسهولة والقصد وعدم التكلف، والخلو غالبا من الزخرف والصناعة اللفظية، التي يتعمد فيها السجع والازدواج والبديع، إلا ما جاء من ذلك بوحي من الفطرة والطبع، دون تكلف أو تعمل"[8]، فالكتابة حينها امتازت بالبساطة مع الدقة والوضوح، كما كانت ألفاظها سهلة جزلة تعبر عن المعنى تعبيرا محكما، بأسلوب جزل قوي خال من الصناعة والتكلف، وهذا راجع إلى طبيعة البيئة التي نتجت فيها هذه الرسائل، لأنها "...كانت لم تزل بيئة فطرية سمحة صريحة لم يرنقها بعد ضباب الأهواء والمطامع والغايات، ولم تفسدها نزوات السياسة واتجاهات الحزبية وجشع المال والشهرة"[9]، مثلما جرى في العصر الذي يليه إذ أصبحت الكتابة بشتى أنواعها مكسبا وغاية مادية نفعية قبل أن تكون رسائل تواصل وغايات سامية.

كما سبق الذكر فإن الإسلام كان بحاجة لاستخدام للرسائل؛ إذ كانت أهم أداة لنشر الدعوة الإسلامية، لاسيما مع من كانوا خارج رقعتهم الجغرافية، وهذا لنشر الإسلام والتعريف به على أبعد نطاق ممكن، ومن ثمة أضحى للرسائل مهام عدة فغدت الحاجة إليها وفيرة من أجل نشر الدعوة، وبذلك ذاع صيتها وطار ذكرها في الآفاق، فكانت من أبرز الفنون النثرية

التي لقيت اهتماما واسعا أيامئذ، ولعل من أكثر الرسائل التي اشتهرت ومثلت النموذج الأساس لهذا الفن آنذاك، رسائل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- التي كانت أداة هامة لنشر الدين الحنيف، نأخذ منها ما كتب إلى قيصر الروم قائلا:

"بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتيك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين، ويأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون."[10]

من خلال هذه الرسالة يمكننا تحديد الخصائص الشكلية العامة للرسائل والأسلوب المعتمد في كتابتها، وبه يمكن أن تتحدد لنا القواعد المعيارية العامة التي ميزت الرسائل في هذا العصر، باعتبارها نموذجا عن الرسائل التي كانت متداولة ساعتئذ؛ إذ نجد أن معظم الرسائل تشترك في الخصائص التالية:

لعل أول ما يلاحظ على هذه الرسالة أنها افتتحت بالبسملة، وهذه ميزة شائعة في هذا العصر، ثم يليه التعريف بالمرسل والمرسل إليه من فلان إلى فلان، بعدها يأتي السلام على من اتبع الهدى ودين الحق ثم تليها عبارة "أما بعد"، والتي يأتي بعدها مباشرة الموضوع الأساسي للرسالة، ألا وهو الدعوة إلى الإسلام، والملاحظ -هنا- أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أوجز في الكلام وعبر عن فحوى رسالته بعبارة (أسلم تسلم)، فهي عبارة موجزة دقيقة واضحة، وهذا إن دل فإنه يدل على أسلوب رسول الله الجزل المحكم، كما تجدر الإشارة إلى استخدامه عبارة (فإنما عليك إثم الأريسيين)، وقد "خص هؤلاء: لأنهم أغلب رعاياه وأسرعهم انقيادا، لجهلهم وسذاجتهم..."[11]، وهذا دليل على أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- كان يراعي حال المتلقي؛ حيث " كان يتوخى إذا كتب لغير العرب أن يوجز القول، ويقل من اللفظ الذي لا يتفهمه كل إنسان، حتى يسهل نقل كلامه إلى ألسن من كتب إليهم من غير العرب، كما كان إذا خاطب قبائل من غير قريش أو كاتبهم يستعمل ألفاظا مألوفة لا يعرفها القرشيون ذلك لأن مقصده الإفهام، والبليغ من الكلام ما فهم وأبقى في النفس أثرا"[12]، فلا بد أن كل هذا نجده متجسدا في رسائل نبي الله إلى الحكام من العشائر المختلفة.

في رسالة أخرى لنبي الله إلى كسرى ملك الفرس كتب قائلا:

" بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، أدعوك بدعاية الله عز وجل، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس"[13].

هنا نجد أن الرسالة مطابقة للتي قبلها مذ بدايتها بالبسملة، ثم البطاقة التعريفية بالمرسل والمرسل إليه، نأتي إلى الكلام الموجز المختصر أسلم تسلم، لكن الفرق حين قال (إن أبيت فعليك إثم المجوس) وهذا كذلك دليل واضح على مراعاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- لحال متلقي هذا المرسال، إذ إن المجوس هم أتباع ورعايا ملك الروم كسرى، فكل ملك يخاطبه على مقتضى حاله، وهناك أمثلة عديدة على هذا، مثلا حين كتب إلى المقوقس عظيم القبط قال "... فإن

توليت فإنما عليك إثم القبط"[14]، والأمثلة كثيرة لا يسعنا ذكرها جميعا هنا، فإن لغة رسول الله تعالى كانت لغة سهلة لينة، موافقة لحال متلقيه وموافقة مع الهدف المنشود منها ألا وهو الإبلاغ والدعوة للإسلام، وتحقيق الإقناع والإرشاد، فبالرغم من أن "...لغة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- التي يتكلم بها على الدوام، ويخاطب بها الخاص والعام، لغة قريش وحاضرة الحجاز، إلا أنه صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم وجمع إلى سهولة الحاضرة جزالة البادية، فكان يخاطب أهل نجد وتهامة وقبائل اليمن بلغتهم، ويخاطبهم في الكلام الجزل على قدر طبقتهم"[15]، وهذا لمراعاة رسول الله حال المستمع والمتلقي ولأنه يخاطب كلا بالطريقة التي يفهمها وتقع في نفسه الموقع الحسن، وبذلك يكون الكلام مؤثرا ومقنعا في آن معا.

من هذا المنطلق نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عالما بأحوال متلقيه، ومطلعا على بيئاتهم وأحوالهم، ويعد هذا أيضا من بين أهم الأمور التي لا يجب إغفالها؛ إذ تلعب دورا مهما في التحكم بالخطاب الموجه إلى تلك الفئة التي يستهدفها ويود التأثير فيها، لأن غاية هذا الخطاب -أولا وقبل كل شيء- الإقناع والتوجيه في عمومه، والإقناع عادة ما يكون بالتأثير والحجة وهذه لا تكون إلا بالمعرفة، لذلك كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عارفا بالأحوال ومطلعا عليها، " ولعل الجدة في طرح الموضوعات وتقوية الحجة بأدلة نقلية وعقلية كان لها من التأثير شيء كبير، ولاسيما أن هيمنة الخطاب الإقناعي تأتي من النص وموضوعه، فلم تكتس تلك الرسائل بطابع الإكراه، وإنما اتبعت طابعا استدلاليا يجر المخاطب نحو الإقناع."[16] فلم يكن الرسول الكريم يستخدم أسلوب الإكراه والتهديد في دعوته، بل كان لينا سمحا يقدم الترغيب عن الترهيب بالوعظ والإرشاد، فقد كان" لا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يبطئ ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر. ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا، ولا أصدق لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين عن فحواه من كلامه صلى الله عليه وسلم"[17]، فكان بذلك أقرب للتأثير والإقناع وهذا ما تميزت به رسائله فبالرغم من قلة حروفها إلا أنها غزيرة المعاني، وإن كانت موجهة إلى الأعاجم والكفار، لكن هل أثرت رسائله هذه في جميع المستلمين لها ودبت في نفوسهم خشية وإيمانا؟

هذه النماذج المقدمة لرسائل نبي الله تعالى، والتي صورت لنا الخصائص الأساسية لرسائله، لكن وجب علينا الإشارة إلى أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- "في كتبه لم يلتزم طريقة واحدة في البدء أو الختام، فهو أحيانا كان يبتدئها ب–أما بعد- وأحيانا –بسم الله الرحمن الرحيم- وأحيانا ب–من محمد رسول الله إلى فلان- وأحيانا -بهذا الكتاب من محمد رسول الله إلى فلان- وكان يختتمها أحيانا بقوله: والسلام، أو: والسلام على من اتبع الهدي، وأحيانا بدون سلام مطلقا"[18]، وهذا يعني أن الرسائل لم تكن على شكل واحد مكرر إنما اختلفت باختلاف سياق الكلام ومقتضى حال المتلقي، فكل رسالة كانت على شاكلة مناسبة لمن سيستلمها. لكن هناك نماذج أخرى من الرسائل كانت بعضها ردودا من

المتلقين لرسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعضها الآخر للصحابة وغيرهم، فهل كانت كلها بهذا الشكل وهذا الأسلوب؟ أم أن لها مميزاتها الخاصة وأسلوبها الفردي؟

من بين هذه النماذج نأخذ رد هوذة بن علي صاحب اليمامة على رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بعدما أرسل إليه من قبل يدعوه إلى الإسلام، قال فيها:

" ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، و أنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل إلي بعض الأمر أتبعك"[19].

لعل أول ما يلاحظ في شكل هذه الرسالة أنها لم تبدأ بالبسملة ولا بالبطاقة التعريفية للمرسل والمرسل إليه، إنما الكاتب دخل مباشرة في صلب الموضوع؛ إذ أبدى استحسانه لدعوة النبي، ثم أظهر مدى أهمية مكانته عند العرب، بعدها أجاب وذلك بطلبه مفاوضة الرسول صلى الله عليه وسلم، هذا فيما يخص الجانب الشكلي للرسالة، أما عن الأسلوب فما هو واضح أن كلامه كان كلاما بسيطا مباشرا، لم يعتمد التكلف والصنعة، إنما كان كلامه واضحا بعيدا كل البعد عن الغموض، ولعل هذه سمة مشتركة بين أسلوبه وأسلوب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسالة هوذة كانت موجزة جدا لذلك لم تستوعب الخصائص العامة لرسالة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- التي توفرت فيها شروط الرسالة والفرق واضح.

نأخذ نموذجا آخر وهو رسالة علي بن أبي طالب لأهل نجران في عهده لهم قال:

"بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين لأهل النجرانية، إنكم أتيتموني بكتاب من نبي الله صلى الله عليه وسلم فيه شرط لكم على أنفسكم وأموالكم، و إني وفيت لكم بما كتب لكم محمد صلى الله عليه وسلم و أبو بكر وعمر، فمن أتى عليهم من المسلمين فليف لهم ولا يضاموا ولا يظلموا ولا ينتقص حق من حقوقهم"[20].

والملاحظ هنا أن عليا رضي الله عنه بدأ رسالته بالبسملة، ثم التعريف بالمرسل والمرسل إليه، بعدها مباشرة دخل في صلب الموضوع بأسلوب مباشر وبسيط ومختصر، وفي هذا كله محاكاة لأسلوب نبي الله تعالى في الكتابة، سواء في الشكل أو المضمون.

جدير بالذكر أن كل الرسائل المذكورة سابقا كانت رسائل تخص مسائل عامة ودولية إن دق التعبير، هذا لأنها تعالج موضوعات دينية وسياسية تهدف لغاية واحدة، وهي نشر الدعوة الإسلامية وارساء تعاليم الدين الحنيف، فكانت بذلك ذات طابع إبلاغي وإرشادي، لذلك يمكن القول بأن نوعها من بين أنواع الرسائل الأدبية رسائل ديوانية، وبالتالي فإن هذا النوع من الفنون النثرية قد تطور وتوسع بسبب هذه الدعوة المجيدة، فكان لها بهذا الدور الفعال في نهوض هذا النثر، لكن هناك نوع آخر من تلك الرسائل الشخصية التي تكون بين الأحبة والأقارب والأصدقاء، وهي رسائل تعنى بالتهنئة والتعزية وغيرها من الأغراض الشخصية التي تحمل مشاعر وأحاسيس مختلفة، وهذا ما يسمى بالرسائل الإخوانية فهل هناك رسائل إخوانية في هذا العصر؟

لم تقتصر كتابات نبي الله تعالى على مجال واحد إنما، تعددت فقد ورد عنه -صلى الله عليه وسلم- رسالة واحدة أخوية والتي بعث بها إلى معاذ بن جبل يعزيه فيها بفقدانه ابنه قائلا:

"من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل:

سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فعظم الله لك الأجر، وألهمك الصبر، ورزقنا وإياك الشكر، ثم إن أنفسنا وأهلينا وموالينا من مواهب الله السنية، وعوارفه المستودعة، نمتع بها إلى أجل معدود، وتقبض لوقت معلوم، ثم افترض علينا الشكر إذا أعطى، والصبر إذا ابتلى، وكان ابنك من مواهب الله الهنية، وعوارفه المستودعة، متعك به في غبطة وسرور، وقبضه منك بأجر كثير: الصلاة والرحمة والهدى، إن صبرت واحتسبت، فلا تجمعن عليك يا معاذ خصلتين: أن يحبط جزعك صبرك، فتندم على ما فاتك، فلو قدمت على ثواب مصيبتك، قد أطعت ربك، وتنجزت موعوده، وعرفت أن المصيبة قد قصرت عنه، واعلم أن الجزع لا يرد ميتا، ولا يدفع حزنا، فأحسن الجزاء وتنجز الموعود، وليذهب أسفك ما هو نازل بك فكأن قد"[21]

شكليا فإن رسالته صلى الله عليه وسلم جاءت مشاكلة للرسائل التي قبلها؛ إذ عرف بالمرسل والمرسل إليه وقدم السلام، ثم بعد عبارة أما بعد دخل في صلب الموضوع والذي هو تعزية ومواساة المتلقي على فقده ابنه، وهذا بعد أن دعا له بتعظيم الأجر والصبر والشكر، لكن لغته هنا كانت مختلفة بعض الشيء عن الرسائل التي كانت موضوعاتها عامة، وهذا كونها كلاما عاطفيا يلامس القلب والوجدان، فنجد الرسول صلى الله عليه وسلم يحاول التأثير في متلقيه من جوانب عديدة، فنجده تارة يذكره بأن في صبره أجر عند الله، وأخرى يذكر له فيها كيف أن الموت سنة الحياة وأن الأرواح كلها ملك لله وحده، ومرة أخرى يؤكد له أن حزنه وجزعه لن يعيد إليه فقيده، وبهذا مست رسالته جوانب مختلفة منها دينية نفسية وأخرى اجتماعية، وبهذا يلامس نفسية المصاب ويخفف اضطرابه وحزنه على مصابه، أما عن الأسلوب فنلاحظ أنه مزج بين العديد من التراكيب الفنية كالتكرار والطباق فلم يكن يوجز ويختصر؛ لأن هذا قد يقلل من نسبة التأثير في متلقيه، ولأنه في موقف مواساة كان أسلوبه مخالفا لأسلوب الرسائل العامة.

الخاتمة:

من خلال ما سبق نرى أن الرسائل الأدبية في هذا العصر تطورت تطورا واسعا في مجالات مختلفة ومتعددة؛ إذ أصبحت أهم أداة تواصلية وتبليغية وقتئذ، وهذا تماشيا مع متطلبات البيئة ، فمعلوم أن النتاج الأدبي يتفاعل مع بيئته التي ينشأ فيها ويخضع لمؤثراتها، لذا فإن " الكتابة في العهد النبوي قد اتسعت اتساعا كبيرا، فأصبحت تؤدي تعاليم الدين الحنيف، وكل ما أقامه لصلاح الجماعة الإسلامية وسعادتها، وكل ما فرضه من معان إنسانية في معاملة من يدخلون في دينه وبالتالي من يعيشون تحت لوائه من أهل الذمة وغيرهم"[22]، بهذا أسهم هذا الدين الجديد في تطوير هذا الفن الأدبي الذي كان شبه منسي فيما قبل ذلك، فكان لاتخاذ رسول الله الرسائل وسيلة في نشر دعوته دورا كبيرا في توسيع هذا النثر وتعريفه، هذا باستعماله المتكرر والدائم في شتى المجالات، " وتكمن أهمية الرسائل في العهد النبوي في أنها أسست لقواعد

ثابتة، وتقاليد شبه فنية لفن الرسائل لاحقا، محاكية الواقع العربي الإسلامي بكل ثقافاته، مسايرة له بكل انفتاحاته التي قطعت أشواطا بعيدة في كافة الميادين المعرفية؛ ولاسيما في العصر العباسي"[23] وبذلك فإن هذا العصر أعطى لهذا النثر قيمة فنية ومكانة أدبية في المجتمع، وجعل منه فنا نثريا قائما على أسس وقواعد.

تعد الرسائل الأدبية من أبرز الفنون النثرية العربية القديمة، والتي نشأت تماشيا مع حاجات المجتمع التواصلية وكذا الفكرية، مذ أول عهد لها مشافهة إلى أن تطورت مع ظهور الإسلام كتابة، ولا يفوتنا القول بأن الإسلام أثر على هذا الفن تأثيرا إيجابيا سواء على مستوى الشكل أو المضمون، إذ إن اتخاذها شكلا بسيطا واضحا بعيدا كل البعد عن الغموض والتكلف ساعد المتلقي على فهمها بالشكل الصحيح، وهذا أسهم كثيرا في انتشارها واستعمالها بشكل أوسع وأشمل، لاسيما أنها كانت الأداة الأولى في نشر الدعوة الإسلامية لنطاق أبعد، ما جعل من الإسلام العامل الأساسي في تطوير هذا الفن واتساعه بعدما كان مهملا منسيا.

قائمة المصادروالمراجع:

1. أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ج1، المكتبة التجارية الكبرى، ط27، مصر، 1969م.
2. أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى ج2، المطبعة الاميرية، القاهرة مصر، 1919م.
3. أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب في عصور العربي الزاهرة، العصر الجاهلي العصر الإسلامي، ج1، المكتبة العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1938م.
4. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، ط22، القاهرة مصر،2000م.
5. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، ط7، القاهرة مصر، 1976م.
6. محمد خضر: أدب صدر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، د ط، 1981م.
7. محمد كرد علي: أمراء البيان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة مصر، ط1، 2012م.
8. زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة مصر، د ط، 2012م.
9. عبد الحكيم بلبع: النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة مصر، د ط، 1955م.
10. واضح الصمد: أدب صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1994م.
11. الرسائل النثرية قراءة في فنية ذاكرة المصطلح: د. منتصر عبد القادر الغضنفري، مجلة جامعة زاخون جامعة الموصل العراق، المجلد1، العدد2، 2013م.

الهوامش:

[1] أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ج1، المكتبة التجارية الكبرى، ط27، مصر، 1969م، ص44.

[2] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، ط22، القاهرة مصر،2000م، ص398.

[3] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، ط7، القاهرة مصر، 1976م، ص 130.

[4] المرجع نفسه: ص 134-135.

[5] محمد خضر: أدب صدر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، د ط، 1981م.ص 386.

[6] محمد كرد علي: أمراء البيان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة مصر، ط1، 2012م.ص 25.

[7] زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة مصر، د ط، 2012م. ص 57.

[8] عبد الحكيم بلبع: النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة مصر، د ط، 1955م.ص73.

[9] المرجع نفسه، ص91.

[10] أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب في عصور العربي الزاهرة، العصر الجاهلي العصر الإسلامي، ج1، المكتبة العلمية، بيروت لبنان، ط1938،1م. ص38- 39.

[11] المرجع نفسه: ص38.

[12] محمد كرد علي: أمراء البيان، ص 12-13.

[13] أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب، ص 40.

[14] المرجع نفسه، ص42.

[15] احمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى ج2، المطبعة الاميرية، القاهرة مصر، 1919م. ص 233.

[16] الرسائل النثرية قراءة في فنية ذاكرة المصطلح: د. منتصر عبد القادر الغضنفري، مجلة جامعة زاخون جامعة الموصل العراق، المجلد1، العدد2، 2013م. ص165.

[17] عبد الحكيم بلبع: النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، نقلا عن الجاحظ البيان والتبيين، ص 76.

[18] المرجع نفسه: ص75.

[19] أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب، ص 48.

[20] المرجع السابق: ص 83.

[21] أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب، ص66-67.

[22] واضح الصمد: أدب صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1994م. ص172-173.

[23] الرسائل النثرية قراءة في فنية ذاكرة المصطلح: د. منتصر عبد القادر الغضنفري، ص 166.